إِنَّها ظبيةٌ مَظْلُومَة!!

الدكتور محمد عمر الحاجي

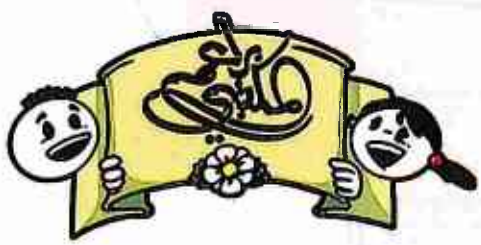

الطبعة الأولى

2017 - 1438

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزءٍ منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

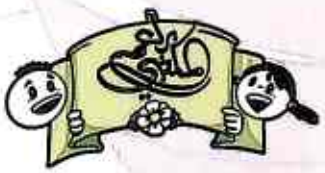

دمشق - الشارقة - القاهرة

دمشق هاتف 00963112248433 فاكس 00963112248432 ص.ب 31426

الشارقة هاتف 0097165512262 فاكس 0097165512264 ص.ب 3309

e-mail:daralbaraem@gmail.com almaktabi@gmail.com

www.almaktabi.com

حَتَّىٰ الفَرَسُ تَجُول عِنْدَ سَمَاع القُرآن!!

وهَذِهِ حِكَايَةُ فَرَسِ (أُسَيْدِ بنِ حُضيْرٍ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، حَيْثُ كَانَ يَقْرَأُ القُرْآنَ ذَاتَ يَوْمٍ ، إِذَ بالفَرَسِ تَتحرَّك وتَجُولُ!

فَسَكَتَ فَسَكَنَتْ ، فَعَادَ إِلَىٰ القِرَاءَة فَعَادَتْ إِلَىٰ الحَركَةِ ، فانْطَلَقَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ ليخْبِرَهُ بِذَلِكَ:

في صحيحِ البُخَاريِّ عَنْ أُسيدِ بنِ حُضَيْر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

بَيْنَما هُوَ يَقْرَأُ مِنَ اللّيلِ سُورَةَ البَقَرةِ وفَرَسُهُ مَرْبُوطٌ عِنْدَهُ ، إِذْ جَالَتِ الفَرَسُ ـ أَيْ: ذَهَبَتْ وجَاءَتْ ـ

فسكتَ فَسَكَنَتْ ، فَقَرأَ فَجَالَتِ الفَرَسُ ، فَسَكَتَ وسَكَنَتِ الفَرَسُ ، ثُمَّ قَرأَ فجَالَتِ الفَرَسُ.

فانْصَرفَ ، وكَانَ ابْنُهُ يَحْيىٰ قَرِيباً مِنْها ، فَأَشْفَقَ أَنْ تُصيبَهُ ـ أَيْ: خَافَ عَلَيْهِ أَن تُصيبَه الفَرَسُ ـ فَلمَّا اجترَّهُ ـ أَيْ: سَحبَ وَلَدَهُ مِنَ المَكَانِ الذي هُوَ فِيهِ حَتَّىٰ لا تَطَأَهُ الفَرَسُ ـ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّماء حتَّى مَا يَرَاها ، فلمّا أَصْبَح حَدَّث النَّبيَّ ﷺ ، فَقَالَ لَهُ: اِقْرأْ يا ابنَ حُضَير ، اِقْرَأْ يا ابنَ حُضَيْر».

قالَ: فأشْفَقْتُ يا رَسولَ اللهِ أَنْ تَطَأَ يَحْيَىٰ ، وكَانَ مِنْها قَريباً ، فرفَعْتُ رَأْسِي فانصرفت إِلَيْهِ ، فرفعْتُ رَأْسِي إِلَىٰ السَّمَاءِ فِإذَا مثلُ الظُّلة فيها أَمْثال المَصَابيح ، فَخَرجْتُ حتَّىٰ لا أَرَاهَا.

قَالَ: «وتَدِري مَا ذَاك؟».

قالَ أُسَيْدُ: لا.

فَقالَ: «تِلْكَ الملائِكَةُ دَنَتْ لصَوْتِكَ ، ولَوْ قَرأْتَ لأَصْبَحَتْ ينظُرُ النَّاسُ إِلَيْهَا ، لا تَتَوارَىٰ ـ أَيْ: لا تَسْتَتِرُ ـ مِنْهم». البخاري: [٥٠١٨].

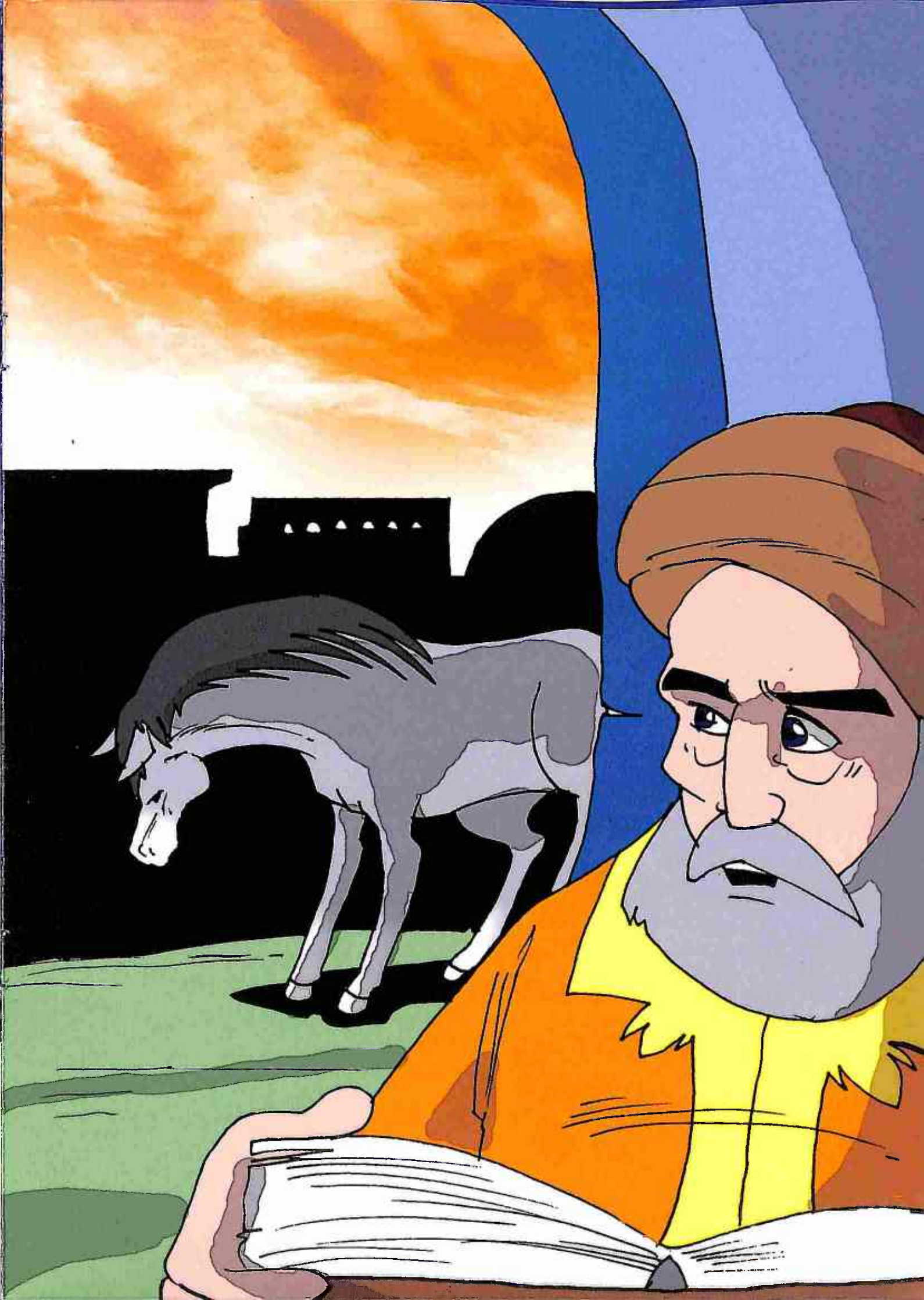

فكُنْتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ

وهَذِهِ حِكَايَةُ الصَّحَابيّةِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبي بَكْرٍ الصِدِّيق رَضِيَ اللهُ عَنْهُما مَعَ زَوْجِهَا الزُّبيرِ بنِ العَوّام رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَفِيْها مِنَ الفَوائِدِ والعِبَرِ الشَّيءُ الكثيرُ:

في صَحيحِ الإِمَامِ مُسْلمٍ عَنْ أَسْمَاءَ بنْتِ أَبي بَكْرٍ ، قَالَتْ:

تزوّجني الزُّبَيْرُ ومالَهُ في الأَرْضِ مِنْ مَالٍ ولا مَمْلوكٍ ولا شَيءٍ غَيرِ فَرَسِهِ وناضحه.

قَالَتْ: فكنتُ أَعْلِفُ فَرَسَهُ وأكْفيهِ مؤونَتَهُ ، وأَسوسُهُ ـ أَتولّىٰ أَمْرَهَ وأَقُومُ عَلَىٰ الأَشْيَاءِ الّتي تُصْلِحُهُ ـ وأَدُقُّ النَّوىٰ لنَاضِحِهِ ، وأَعْلِفُهُ وأَسْتَقِي المَاءَ ، وأَخْرُز غَرَبَهُ ـ أَيْ أَنْضَحُ المَاءَ مِنَ البِئْرِ بالدّلوِ الكَبيرِ ـ وأَعْجِنُ ، ولَمْ أَكُنْ أُحْسِنُ أَخْبز ، وكَانَ يخبز لي جَاراتٌ مِنَ الأَنْصَارِ ، وكُنَّ نسوةَ صِدْقٍ.

قَالَتْ: وكُنْتُ أَنْقُلُ النَّوىٰ مِنْ أَرْضِ الزُّبَيْرِ الّتي أَقْطَعَهُ ـ أَيْ: أَعْطَاهُ وَوَهَبَهُ إياها ـ الرَّسُولُ ﷺ عَلَىٰ رَأْسِي وَهِيَ عَلَىٰ ثُلثي فَرْسَخٍ ـ أَيْ هِيَ عَلَىٰ بُعْدِ ميْلينِ مِنَ المدينَةِ المنوّرَةِ ـ.

قَالَتْ: فجئْتُ يَوْمَاً والنَّوَىٰ ـ أَيْ: بذور التّمْرُ ـ عَلَىٰ رَأْسِي ، فَلَقِيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ومعَهُ نفرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ.

فَدَعاني ثُمَّ قَالَ للبَعِير: «إخْ إخْ» وذَلِكَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَحْملَني خَلْفَهُ.

قالَتْ: فاستحيْيتُ وذَكَرْتُ غَيْرَة الزُّبَيْرِ!

قَالَتْ: وانطلَقْتُ إِلَىٰ البَيْتِ ، ولمّا حدَّثتُ الزُّبيرَ بِمَا حَدَثَ ، قَالَ: واللهِ لَحْملُكِ النّوىٰ عَلَىٰ رَأْسِكِ أَشَدُّ مِنْ رَكُوبِكِ مَعَهُ!

قَالَتْ: وبقيْتُ عَلَىٰ ذَاكَ العَمَلِ والتَّعَبِ حَتَّىٰ أَرْسَلَ

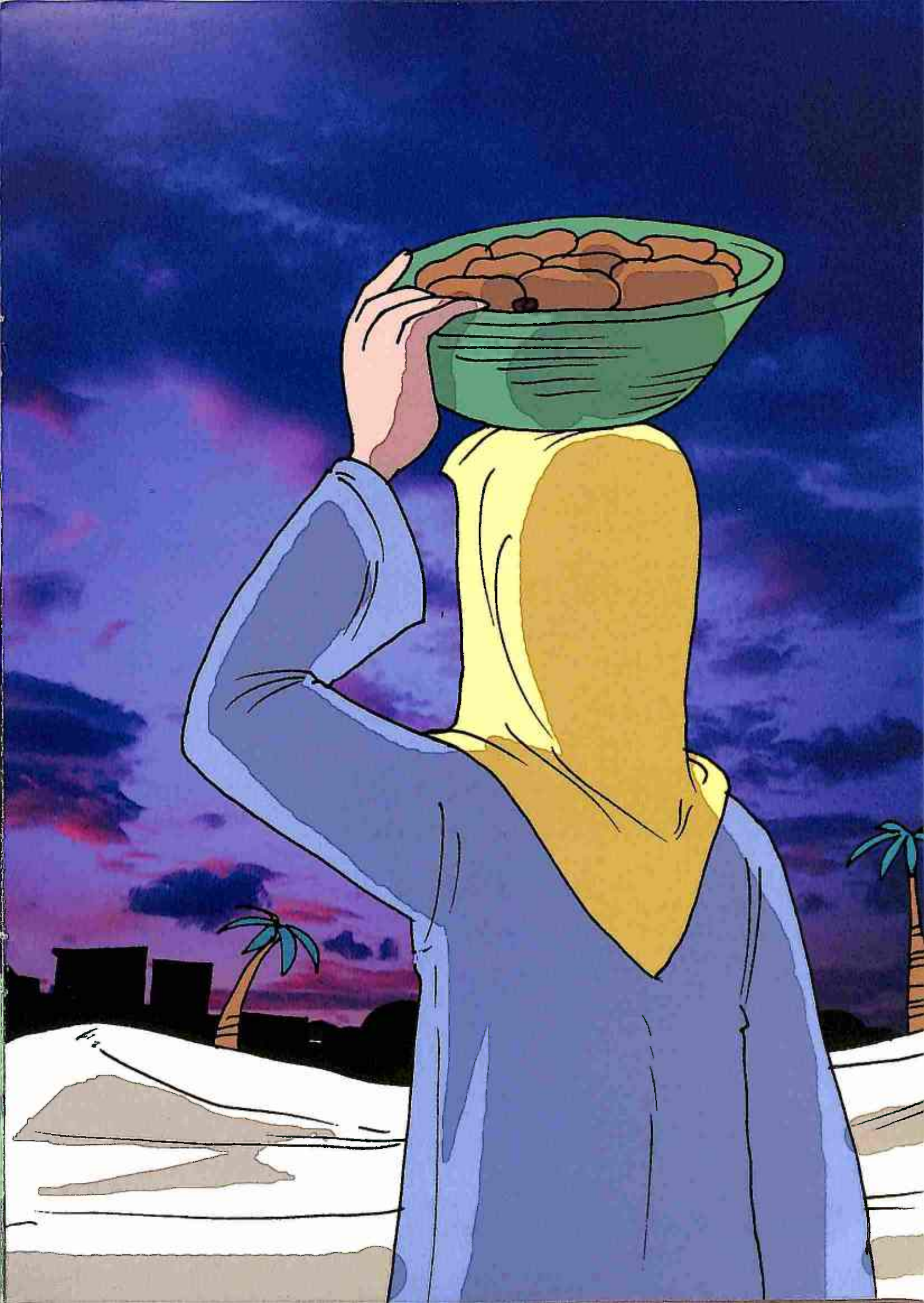

إليَّ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ ذَلِكَ بِخَادِمٍ فَكَفَتْنِي سَياسَة الفَرَسِ ، فَكَأنَّما أعتقتني!! البخاري: [٥٢٢٤]، ومسلم: [٢١٨٢]، وأحمد في المسند: [٢٦٨١٦].

ظبيَةٌ... تَذْهَبُ... ثُمَّ تَعُود!!

وهَذِهِ حِكَايةُ ظَبْيةٍ مَظْلومَةٍ تْطلُبُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَفُكَّ قَيْدَهَا!

لَقَدْ صَادَهَا قَوْمٌ.. ورَبَطُوهَا بِعَمودِ خَيْمتِهِمْ...وكَانَ عِنْدَهَا وَلَدانِ وهي تُرِيْدُ أَنْ تَنْطَلِقَ إِلَيْهِما لتُرضِعَهما ، ولكِنْ أنّىٰ يكونُ ذَلِكَ؟!

لم تَجِدْ مَنْ تَشْكُو إِلْيهِ أَمْرَها إلاّ نبيّ الرَّحْمَةِ مُحمَّدٍ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ ، فَشكَتْ لَهُ حَالَها وحَالَ أَوْلادِهَا ، وأَخَذتْ عَلَىٰ نَفْسِهَا العَهْد أَنَّها سَتعُودُ إِلَىٰ الرَّسُولِ بَعْدَ أَنْ تُرْضِعَهما... ، فَماذَا فَعَلَ الحَبِيْبُ ﷺ؟

أَخْرَجَ الطَّبرانُّي عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

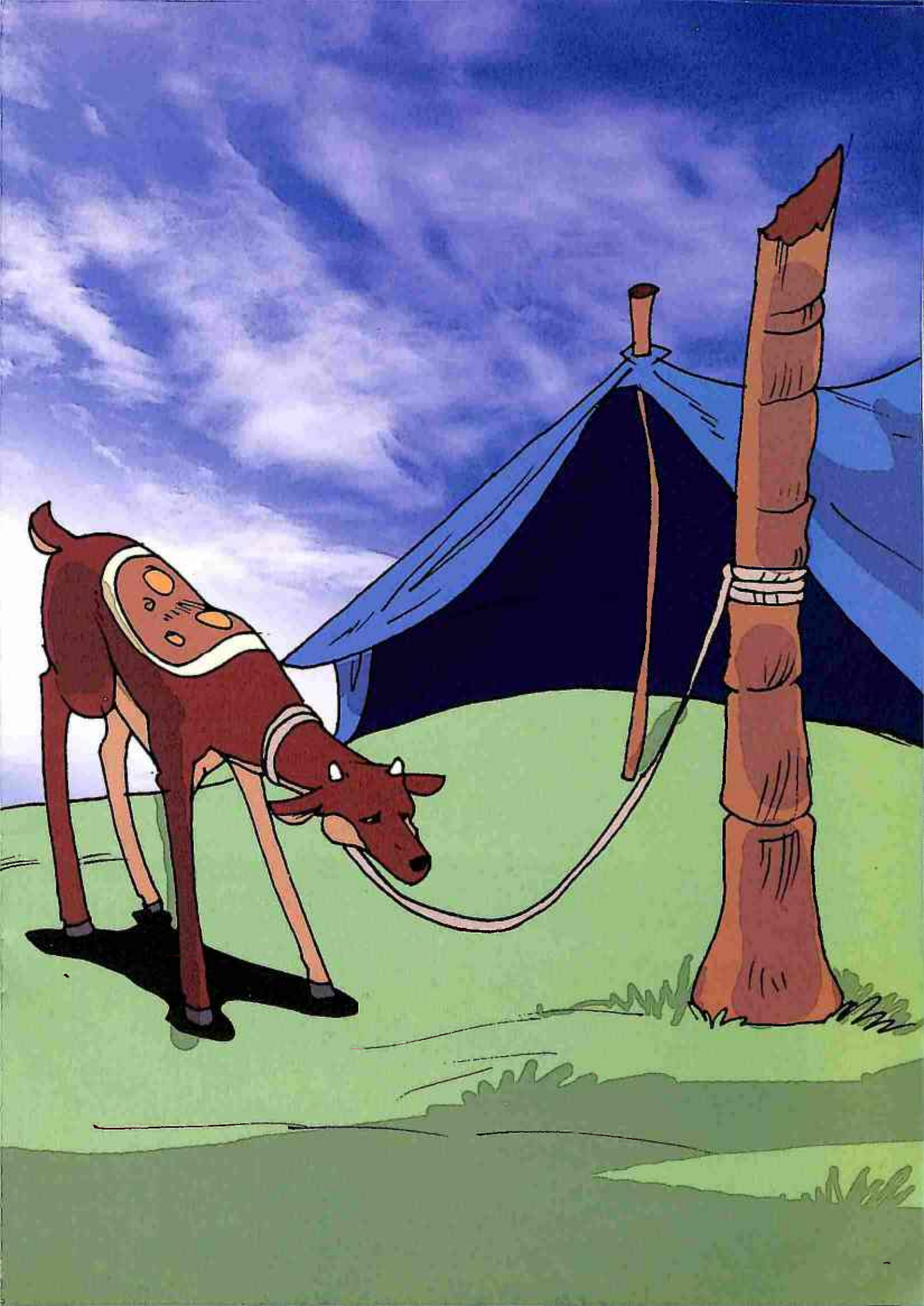

مرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلىٰ قَوْمٍ قَدْ صَادُوا ظبيةً ، ثُمَّ شدّوها إِلىٰ عمودِ فُسْطَاطٍ ـ أَيْ: خَيْمَةٍ ـ.

فقالَتِ الظَّبْيَةُ: يَا رَسُولَ الله! إِنّي وَضعْت وَلَدين خُشْفَينِ ـ الخِشفِ هو: وَلَدُ الظَّبْيَةِ ـ فَاسْتَأذِنْ لي أَنْ أرضعَهما ثُمَّ أَعُودُ!!

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَلُّوا عَنْهَا ، حَتَّىٰ تَأْتِيَ خُشْفَيْها فَتُرضعَهُمَا وَتأْتِي إِلَيْكُمَ».

قَالُوا: ومَنْ لَنَا بِذَلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «أَنَا».

فَأَطْلَقُوهَا ، فَذَهَبتْ فَأَرْضَعَتْ ، ثُمَّ رَجَعتْ إِلَيْهم ، فَأَوْثَقُوهَا!

فَقَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «تَبِيْعُونَها؟!».

قَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ! هِيَ لَكَ.

..فَخَلُّوا عَنْها ، فَأَطْلَقُوهَا ، فَأَخَذَتْ تَجْري مُسْرِعَةً!!

.. واليومُ يَوْمُ الرُّضَع!!

وهَذِهِ حِكَايَةٌ مِنْ حِكَايَاتِ البُطُولَةِ والنَّجْدَةِ، رَوَاهَا البُخارِيُّ في صَحِيحِهِ عَنْ سَلَمَةَ بنِ الأَكْوَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

خَرجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤذّنَ بالأُوْلَىٰ - أَيْ: قَبْل صَلاَةِ الفَجْرِ -، وكَانَتْ لِقَاح - جمع مفرده لَقْحَة وهِيَ النَّاقَةُ ذَاتُ اللّبَنِ - رَسُول اللهِ ﷺ تَرْعَىٰ بِذِي قَرَدٍ - وهِيَ مَنْطِقَةٌ قَرِيبةٌ من خيبر -.

قَالَ: فَلقِيَني غُلامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ فَقَالَ: أُخذتْ لِقَاحُ رَسولِ اللهِ ﷺ.

قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟

قَالَ: غَطَفَان.

قَالَ: فَصَرخْتُ ثلاثَ صَرَخَاتٍ: يا صَبَاحَاهُ!

قَالَ: فَأَسْمَعْتُ ما بَيْنَ لابتي المدينَةِ - أَيْ: طَرَفَيْها -، ثُمَّ انْدفَعْتُ عَلَىٰ وَجْهي، حَتَّىٰ أَدْرَكْتُهُم وقَدْ

أَخَذُوا يَسْتَقُون مِنَ المَاءِ ، فجعلْتُ أَرْميهِمْ بِنَبْلِي ـ وكُنْتُ رَامِياً ـ وأَقُولُ:

أَنَـــــا ابـــــنُ الأَكْـــــوَعِ

واليـــومُ يـــومُ الـــرُّضَّـــعِ

وأَرْتَجِزُ حَتَّىٰ استنقذْتُ اللِّقاحَ مِنْهُم ، واسْتَلَبْتُ مِنْهم ثَلاثينَ بُردَةً!

قَالَ: وجَاءَ النَّبيُّ ﷺ والنَّاسُ ، فَقُلْتُ: يا نبيّ الله! قَدْ حَميتُ القومَ الماءَ ـ أَيْ: مَنَعْتُ عَنِ القَومِ المَاءَ ـ وهُمْ عِطَاشٌ ، فابْعَثْ إليهم السَّاعَةَ.

فَقَالَ: «يا ابن الأَكْوَعِ! مَلَكْتَ فأَسْجِح ـ أَيْ: فاعْفُ ـ».

قَالَ: ثُمَّ رَجَعْنَا ، ويُردفُني رَسول الله ﷺ عَلَىٰ نَاقَتِهِ ، حَتَّىٰ دَخَلْنَا المدينَةَ... البخاري: [٤١٩٤].

* * *